

أسلوب التقديم والتأخير في سورة الكهف: دراسة بلاغية

THE STYLE OF PRE-POSITIONING AND POST-POSITIONING IN SURAH AL-KAHF: A RHETORICAL STUDY

الدكتور محمد أنور بن أحمد Dr. Muhammad Anwar bin Ahmad

([HYPERLINK "mailto:m_anwar@iium.edu.my"m_anwar@iium.edu.my](mailto:m_anwar@iium.edu.my))

نور العوة بنت أزهر Nurul Izzah binti Azhar

([HYPERLINK "mailto:izzahazhar90@gmail.com"izzahazhar90@gmail.com](mailto:izzahazhar90@gmail.com))

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERISTY MALAYSIA (IIUM)

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة أسلوب التقديم والتأخير في سورة الكهف من ناحية السياق البلاغي. وقد قام البحث بتحليل هذا الأسلوب القرآني في هذه السورة وفقا لما يقتضيه السياق والمقام مستعينا بكتب البلاغة والتفسير. وقد تبني البحث المنهج التحليلي معتمدا على نظرية النظم التي تتمثل في مطابقة الكلام لمقتضى الحال والسياق في تحليل الآيات القرآنية التي ورد فيها أسلوب التقديم والتأخير. اختار البحث هذه السورة؛ لكثرة ورود أسلوب التقديم والتأخير فيها، حيث ورد ما يقارب اثنتين وتسعين آية) وبنسبة 84% فيها التقديم والتأخير. وتكمن أهمية هذا البحث في محاولته لإبراز جمال سورة الكهف من الجانب السياقي البلاغي؛ بغية فهم القرآن، وتدوقه، وتدبره. وقد توصل البحث إلى أن التقديم والتأخير في القرآن الكريم إنما يكونان بحسب ما يقتضيه المقام، فالنظر إلى سياق الآيات القرآنية ومقامها مهم جدا في الاهتداء إلى أسرار التقديم والتأخير في القرآن.

الكلمات المفتاحية: التقديم والتأخير – السياق والمقام – البلاغة – سورة الكهف

Abstract: This study aims at studying the style of pre-positioning and post-positioning in surah al-Kahf from the rhetorical context aspect. 96 out of 110 its verses contain these two rhetoric styles. The study analyzes this Quranic style in this chapter according to the rhetorical context and situation by referring to Qur'anic exegesis and Arabic rhetoric references. The researcher adopts the analysis methodology using the theory of al-Nazm (the theory of composition) which manifested by the relevance of speech or composition according to its context, situation or occasion. This study intends to reveal the beauty of this Quranic chapter rhetorically as it would help people to understand the Quran and ponder on its verses. The findings of this study indicate that the style of pre-positioning and post-positioning in surah al-Kahf is based on the context and situation of its verses, hence observing the context and situation of the verses of the Holy Quran is essential to understand the beauty and secrets of style of pre-positioning and post-positioning in Quran.

Keywords: Pre-positioning and Post-positioning – context and situation – the Arabic Rhetoric- surah al-Kahf

مقدمة

لا شك فيه أنّ للقرآن الكريم مميزات من حيث الأساليب البلاغية يقرّ بها المؤمنون به والجاحدون له، ومن هذه الأساليب التقديم والتأخير، حيث يجد قارئ القرآن الكريم في مواضع كثيرة من هذا الكتاب المعجز أسلوب التقديم والتأخير. فالتقديم والتأخير من أساليب كلام العرب ولغتهم، والقرآن نزل بهذه اللغة فهذا الأسلوب ليس غريباً عليهم، وقد تحدى القرآن العرب أن يأتوا بمثله لكنهم عجزوا، فهذا يدلّ على أنه ليس من كلام البشر، لذا نرى أن ورود هذا الأسلوب يُعدُّ وجهاً من وجوه الإعجاز البلاغيّ، ومن الضروري الاطلاع عليه والكشف عن أسرارهِ. فهذا البحث محاولة متواضعة للكشف عن جمال هذا الأسلوب في سورة الكهف، ولعله يكون إسهاماً لتذوق القرآن الكريم عامةً، وسورة الكهف خاصةً.

مفهوم التقديم والتأخير البلاغي

يهتم بهذا الأسلوب القرآني النحويّون والبلاغيّون والمفسّرون قديماً وحديثاً، ونحن في هذا البحث يهتمنا الجانب البلاغي منه فقط، فنطلق من نظرية النظم التي تتمثل في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهي "إيراد الكلام وفق عقول المخاطبين وحالهم، والمناسبة التي يقال فيها الكلام من أجلها، والظروف التي يقال فيها". وحرّياً بالتنبيه هنا أن البلاغيين في تناولهم لهذا الأسلوب يهتمون بأسبابه وأغراضه، وهي كثيرة منها: العناية والاهتمام، والاختصاص، والتنبيه، والتشويق، والتعظيم، والتهديد والوعيد، وإفادة الرتبة والترتيب، والتنقل، ورعاية الفواصل. ومن المستحسن هنا نضرب مثالا على التقديم والتأخير من أجل الاختصاص، وذلك بتقديم المفعول، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 5]، أي نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك. فالتقديم والتأخير إنما يكونان بحسب ما يقتضيه المقام، فقد يقدم لفظ في مكان ويؤخر في مكان آخر بحسب ما تقتضيه البلاغة. وقد أكد ذلك فاضل السامرائي قائلاً: "إن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول، يجمعها قولهم: إن التقديم إنما يكون للعناية والاهتمام. فما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام. والعناية باللفظة لا تكون من حيث إنها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال".

التقديم والتأخير في سورة الكهف

سورة الكهف من سور مكية وتحتوي على مائة وعشر آيات وتبدأ بالتحميد (الحمد لله). (ومن روعة هذه السورة؛ أنها تتضمن أربع قصص: قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح الخضر، وقصة صاحب الجنتين، وقصة ذي القرنين. إضافة إلى ذلك، فإنها يتلوها المسلمون كل الجمعة؛ لكثرة فضائلها الواردة في الحديث النبوي، ومنها أنها سلاح لمواجهة فتنة الدجال وثبت ذلك في الحديث الذي رواه مسلم، قال الرسول ﷺ: ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ)). (بعد تتبع هذه

السورة وجدنا آيات كثيرة ورد فيها التقديم والتأخير، وله دلالات معينة وفقا لما يقتضيه فن القول وسياق التعبير،
ومن هذه الآيات كالاتي:

- قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: 1] بدأت هذه السورة آيتها الأولى بالتحميد. وهناك أقوال حول هذا التحميد. أولا: إنّ الله قد مدح نفسه على أنه أهل للمدح إطلاقا لإنزاله القرآن على رسوله محمد ﷺ، الذي يخرج به الناس من الظلمات إلى النور. وهذا الكتاب لا شك فيه ولا ريب ولا عوج محفوظ إلى يوم القيامة. ثانيا: الاهتمام، على أن الله يأمرنا أن نحمده لأنه أنزل القرآن قيما لا عوج فيه. هذا ما ذهب إليه العسكري. ثالثا: إنّ من أعظم النعم التي وهبنا الله إياها، نعمة الإسلام مع القرآن المنزل على رسولنا محمد ﷺ. وهذه النعمة سبب النجاة والفوز العظيم في الدارين؛ لأن القرآن هدى للناس. فالله علّمنا أن نحمده على هذه النعمة. فناسب تقديم التحميد في هذا المقام مراعاة لسياق الكلام وذلك لإفادة التعظيم

- قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَابْتَاعُوا مِنْهُ بِحَقِّ الثَّمَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الكهف: 18] قدّم في الآية الفرار على الرعب، والذي نعرفه من خلال المشاهدة والتجارب تقديم الرعب على الفرار لأن الإنسان يخاف ثم يهرب، ولكنه في هذا المقام قدّم الفرار على الرعب بحسب الأهمية، حيث أن الفرار من هؤلاء الفتية أهم من الرعب، إذ إنهم فرّوا من قومهم وأووا إلى الكهف لئلا يراهم أحد، فالمهم إذن ألا يتملّى فيهم الرائي ويتفرس في وجوههم فيعرفهم، والله أراد حفظهم وحميتهم وحجبهم وسترهم عن عيون الناظرين، فقدم الفرار منهم على الرعب

- قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: 22] قدّم ثلاثة (على) رابعهم (و) خمسة (على) سادسهم (في هذه الآية من أجل إفادة الذات، أي على رتبة العدد من القلة إلى الكثرة. فهذه الآية القرآنية تقدم الألفاظ وتؤخرها حسبما يقتضيه المقام حيث يكون سياق الكلام متدرجا حسب ترتيب العدد، فبدأت بالقلة ثم التي تليها

- قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 26] اقتضى المقام في الآية تقديم البصر على السمع، لأن الكلام عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم ولجؤوا إلى الكهف لئلا يراهم أحد لكن الله سبحانه وتعالى يراهم وهم هربوا من قومهم، ويراهم في ظلمة الكهف، ويرى تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، وهذا في مجال الرؤية لا في مجال السمع، فافتضى المقام والسياق تقديم الإبصار على السمع

- قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46]
إن في هذه الآية تقديم (المال (على) البنون (ليفيد مراعاة الأفراد، أي أن الجمع يأتي بعد المفرد. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون: 55]. فالتقديم والتأخير هنا بحسب ما يقتضي السياق والمقام.
- قال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: 49]
في هذه الآية، تقدّم لفظ (صغيرة (على) كبيرة (لإفادة التنقل، أي لقصد الترتيبي من الأدنى إلى الأعلى، فكان من المناسب تقديم الصغر على الكبر.
- قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: 86]. وقال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يُجْعَلْ لَهُمْ مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: 90]
قبل: إن ذا القرنين بدأ رحلته بالمغرب قبل المشرق لأنه جاء من جهة المشرق. وتقديم المغرب على المشرق لإفادة الاهتمام لأن الناس في تلك الجهة أشدّ طغياناً، وهذا التقديم يفيد الاهتمام عند المخاطب.
- قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]
في هذه الآية تقدم (فليؤمن (على) (فليكفر (أي الإيمان على الكفر لإفادة الترتيب، لأن الإيمان هو الأصل، ثم جاء (فليكفر (لإفادة التهديد والوعيد الشديد.
- قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: 66]
تقدّم الاستئذان على طلب التعليم في هذه الآية الكريمة مراعاة للأدب، والأخلاق، وتعظيم العلم، فالتقديم والتأخير هنا إنما يكونان بحسب ما يقتضيه المقام والحال.
- قال الله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79]
إن التعبير (فأردت أن أعيبها (مسبب، وخوف الغصب على السفينة هو السبب. فلا بد أن يكون المسبب متأخرًا عن السبب. فلم يُقدّمه على السبب لقصد على نية التأخير، لو قُدّم فيكون غرضه للعناية. وفي الوقت نفسه، السبب ليس خوف الغصب عليها وحدها، بل (لمساكين (أيضا هو السبب.

فكان سبب إعاقتها هو لمساعدة المساكين . إذن، فلا حاجة إلى تقديم المسبب، أي إرادة إعابة السفينة
لقصده على نية التأخير.

• قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ
جَدَلًا﴾ [الكهف: 54]

فُدِّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ (فِي هَذَا الْقُرْآنِ (عَلَى) لِلنَّاسِ (بِخِلَافِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) [الإسراء: 89] الَّتِي
تَقْدَمُ فِيهَا (عَلَى) فِي هَذَا الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَقْدَمُ الْكَلَامُ فِي (عَلَى الْإِنْسَانَ وَنَعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِ وَرَحْمَتُهُ بِهِ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنُنَّا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ
يُتُوسًا﴾ [الإسراء: 83] فَنَاسَبَ ذَلِكَ تَقْدِيمَ النَّاسِ فِي (الْإِسْرَاءِ). (وَلَمْ يَكُنْ نَظْمُ الْكَلَامِ مِثْلَ ذَلِكَ فِي
الْكَهْفِ. وَلَعَلَّ النَّظْرَ فِي افْتِتَاحِ كُلِّ مِنَ السُّورَتَيْنِ يَعْينُنَا عَلَى الْكَشْفِ عَنِ سِرِّ هَذَا النِّظْمِ مِنَ التَّقْدِيمِ
وَالتَّأخِيرِ، فَقَدْ افْتَتَحَ سُورَةَ الْكَهْفِ بِقَوْلِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ
عِوَجًا قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
حَسَنًا﴾ [الكهف: 1-2]. فَالسُّورَةُ بَدَأَتْ بِالْكَلامِ عَلَى الْكِتَابِ وَهُوَ الْقُرْآنُ ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَهُ أَصْحَابَ
الْكَهْفِ، وَمُوسَى وَالرَّجُلَ الصَّالِحَ، وَذَا الْقُرْنَيْنِ وَغَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ، فَبَدَأَتْ بِذِكْرِ الْقُرْآنِ ثُمَّ ذَكَرَ النَّاسَ،
فَكَانَ الْمُنَاسِبُ أَنْ يَتَقَدَّمَ ذِكْرُ الْقُرْآنِ عَلَى النَّاسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ. وَهَكَذَا نَجِدُ أَنَّ الْقُرْآنَ يَقْدَمُ لَفْظَةً
فِي مَوْضِعٍ وَيُؤَخَّرُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَلَى حَسَبِ الْمَقَامِ

الخاتمة

بعد جولتنا المتواضعة مع الأسلوب القرآني في التقديم والتأخير في سورة الكهف وجدناه لا يأتي عبثًا بلا
فائدة وإنما يفيد دلالة معينة بحسب ما يقتضيه المقام والسياق. فقد يُقَدِّمُ لفظ في مكان ويؤخره في مكان آخر
بحسب ما يقتضيه السياق والبلاغة. فالقرآن دقيق في نظمه وفي وضعه الألفاظ وحرصها بجنب بعض، كل ذلك
مراعاة لسياق الكلام والاتساق العام في التعبير. والقرآن بوصفه كتابًا معجزًا لا يخلو من أسرار ولطائف بلاغية .
ولعلنا نقتبس من هذه الدرر القرآنية ونستفيد منها في كلامنا وخطابنا فنقدم كلمة في موضع ثم نؤخرها في موضع
آخر وذلك مراعاة لمقتضى الحال والمقام، فالقرآن أعلى مثل لنا في ذلك . والله نسأل أن يلهمنا الرشد ويحببنا
الزلل، إنه سميع مجيب

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن كثير، إسماعيل (.1998م (تفسير القرآن العظيم .ط2،) دمشق :مكتبة دار الفيحاء)
- أبو حيان، محمد بن يوسف). 1993م .(تفسير البحر المحيط .تحقيق :عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد .يعرض،) بيروت :دار الكتب العلمية)
- الزركشي، محمد بن عبد الله). 1972م .(البرهان في علوم القرآن، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم،) بيروت : (منشورات المكتبة العصرية
- الزمخشري، محمود بن عمر). د.ت .(الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . ضبطه وصححه :مصطفى حسين أحمد،) د.ط.(،) لبنان :دار الكتاب العربي)
- السامرائي، فاضل صالح). 2009م .(التعبير القرآني .ط6،) عمان :دار عمار)
- السامرائي، فاضل صالح). د.ت .(من أسرار البيان القرآني). د.م.)
- السعدي، عبد الرزاق). 1995م .(القطوف الدواني من علم المعاني). د.م.: دار الأنبار للطباعة والنشر)
- الصابوني، محمد علي). 1981م .(صفوة التفاسير .ط3،) بيروت :دار القرآن الكريم)
- المسيري، منير محمود (.2005م .(دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية). القاهرة :مكتبة (وهبة)
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج). 2008م .(صحيح مسلم .ضبطه وصححه :محمد سالم هاشم، ط2،) بيروت :دار الكتب العلمية)